

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## تقديم

لهذا الكتاب إخوة كبار عن أئمة الفقه الأربعة لأهل السنة ، والخامس منها عن الإمام جعفر الصادق إمام الشيعة ، تأخينا بها وصف الحياة التي حيوها ، وشرح أصول مذاهمهم ، وإظهار الجلال العلمي والهدى الإسلامى فى وقائع تتكلم على ألسنة رجال من لحم ودم ؛ لتجلى بالطريقتين - الموضوعية والشخصية - عظمة الإسلام ، ودرجات الكمال فى الرجال ، وسباحة الشريعة ، واتساع فقهها واقتداره على أن يصلح العالم كله فى عصرنا الحاضر . فما أحراه أن يصلح به الله حال المسلمين الآن !

والمجتمع العالمى الآن يعالج حضاراته فى الشرق والغرب وفى العالم الثالث ، ويتنادى بقم جديدة تعيده من شرور الانحلال الخلقى والعاطفى ، الفردى والأسرى والاجتماعى ، وحرية الشهوة ، وشبوع المخدرات ، وتفاقم الجرائم ، والفرع الشخصى والجماعى من الدمار النووى المرتقب !

ولم تكف المستشفيات معالجة ضحايا المخدرات ولا التعليم محاربة اللذة المحرمة أو الفقر النفسى الذى يتزف ما تجمعه الحضارة المعاصرة بين أيدي البشر من آثار الإنتاج الكبير وأعراض النعمى والغضارة أو الفرع الذى ينزع الطمأنينة من أنفس الناس ، فيستكثروا من الإنتاج النووى وهم علمون أن فيه هلاكهم ، فيضيفوا فرعاً إلى فرع . وتبضع الحضارة نفسها وهى فى كمال إدراكها ! ونزلت بعض المجتمعات عن حرياتها لدوها فنزلت ونزلت حتى خسرت خصائص آدميتها ! ولا جرم أن المجتمع الإسلامى المعاصر يعيش فى مستوى أدنى مما يؤهله له الإسلام . والإسلام قانونه الكفاح والمساواة والعدالة .

وإنما يستفعد أهله الانفصال بين العقيدة والسلوك ، والانحراف عن الوسيلة الكفيلة بالتقدم ، وهى حلية لأعينهم قائمة بين أيديهم ، أعلنها مالك بن أنس فى مقولته الجارية على الألسن : إن هذا الأمر لا يصلح آخره إلا بما صلح به أوله ! وفى هذا المعتزك الفسيح للإصلاح بذل كل إمام جهده ، ليعيد المسلمين إلى الجادة .

وفي القرنين السابع والثامن بلغ الفساد كل مبلغ ، فلم يقتصر على الجمود والتقليد أو على الامتناع عن الجهاد ، أو الاستهتار بالقيم الدينية ، بل تجاوزها إلى الانقطاع عن التوحيد واستبدال الطقوس والبدع الذميمة أو المكفرة بالدين الصحيح .

وكان من فضل الله أن أتاح ابن تيمية للإصلاح ، فحاض معركة الدفاع عن الدين ببراعة واقتدار ، وخلف بمؤلفاته وسيرة حياته محجة واضحة سار عليها «ابن عبد الوهاب» ، وأضاف إلى فقهه القيمة العظمى التي تهب الحياة للكلمات ، يوم حمل دعوة التوحيد بالحكمة والموعظة الحسنة في يد ، وسيف القوة في يد ، فأمكنه الله من تطبيق الشريعة . وصلاح أمر الجماعة في سنوات ، وتتابع على نهجه المصلحون من بعده .

• • •

ومن أجل الاعتبار بما صنعه ابن عبد الوهاب وحاجة العصر الحالي إلى التأسى بكل كلمة قالها وكل صنيع صنعه - وضع هذا الكتاب ؛ ليذكر كل ذي بصر أن صفحات هذا التاريخ العظيم تتكرر . وصدق رسول الله ﷺ : « مثل أمي كالمنظر لا يدري : أوله خير أم آخره » .

كانت الإمبراطوريتان الفارسية والرومانية تسيطران على الأرض من الشرق والغرب من جزيرة العرب ، وتتملكان الزاد والعتاد ، يوم أشرقت شمس الإسلام ، في حين لم يكن المسلمون يملكون إلا عقيدتهم . وانتصر أصحاب العقيدة على العالم في سنوات معدودات . وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله !

وكهشة ذلك الانتصار تماماً - وفي المكان ذاته - تكررت دروس العقيدة على يد الإمام محمد ابن عبد الوهاب ، لتظهر السماء بنى الدنيا مرة إثر أخرى ، على أن عقيدة التوحيد تهب الشجاعة وتحث الانتصار ؛ إذ يتواعد الرجال الصُّلب على الجنة ؛ ليظفروا بالشهادة أو بالنصر . وهم في الحاليتين متصرون ، ولتظهر على مدار قرنين ونيف بعد موت الإمام - أن الذين لا تسقط أعلام الجهاد من أيديهم لا يخسرون أرواحهم ؛ وإنما يهبون بها الخلود لأمتهم ؛ فتعقد السماء حيث تشع السحب ، وتجب الأمة حيث تجذب الأرض !

بهذا أصبحت المملكة العربية السعودية دولة رائدة في المجتمع العالمي ، معلمة للمجتمع الإسلامي ، بانتصار الشريعة على الجريمة والرييلة والتواكل والجهل والفشل التي رحضت مواهب غيرها من الأمم ، وبسيادة العدالة والطمأنينة ، وانتشار الجامعات وازدهار الأخلاق الرغبية والانتهاز بالمعروف والتناهي عن المنكر .

وبهذا قامت جماعة إسلامية حقاً هي آدى للأمانة واكد في التعامل ، وأبعد من التبدل ، وأصون للحرمان ، تتواصل فيها الطبقات وتكدح ، وتجد وتجتهد ، وتثبت لعالم تتخاذل دوله ،

وتدلل شعوبه - أن العذاب يحل بالأمم من أنفسها ، ولا يصيب الذين ظلموا خاصة ، وأن الله صادق وعده ناصر جنده ، وإن غي عن ذلك عبدة القوة أو المادة ، أو عصى الآخرون عن رؤية الواقع !

• • •

والإمام محمد بن عبد الوهاب لا يقدم للعالم ولا للمسلمين نظرية فلسفية ؛ وإنما يقدم أعمالاً ومنجزات . والعمل ملاك الفكر الإسلامي ، وهو فكر إيجابي كله ، والإيمان فيه إقرار وعمل . والتاريخ إذ يسجل لنا منجزاته يعرضها للبشرية على الطريقة الإسلامية المعلّمة : فتبدأ بداية الإسلام في الصحراء . وتستطرد في الذبوع والتماء والتكئين ، مع الالتزام الدقيق بمنهج السلف الصالح ؛ لتنتهي في جزيرة العرب دولة كبرى تراحم بمنكب ضخم ، في موكب التقدم ، وتتبع أحدث أساليب التكنولوجيا ، وتبث أعداء الشريعة بنجاح مقطوع القرن ، فتنتي اتهام الجاهليين للفقه الإسلامي بالتخلف عن سداد حاجات المسلمين في القرون الحديثة ، وتعلم الجميع أن الوسيلة (الوحيدة) للنهوض بالأمّة هي تطبيق الشريعة .

وبارك الله في الأرض التي طهرتها الشريعة ، فدرّت ينابيعها بالعطاء ، إرشاداً من السماء للناس كافة ، إلى حيث يولى المسلمون وجوههم ؛ ليعبدوا الله وحده ، وليعملوا لديّاهم صادقين . وبارك الله لابن عبد الوهاب . فلم يلق ربه إلا بعد أن شهد توحيد الجانب الشرق من جزيرة العرب إيذاناً بوحدتها الكاملة بعده ، وإن تراخى الزمان - فما الأعوام أو الحوادث في تاريخ الديانات إلا منارات ، أو أحرف يكتب بها التاريخ كلماته .

والمسلمون أمة نسجت مقومات وجودها وبقائها من قيم الإسلام . وكل يوم يمر على الأمة - دون أن تعمل بها - يوم من أيام الضياع ينزل بها المفازم ، ويزيد الغشاوة على أبصار أبنائها كثافة ، فينشأون على العيش الرغد أو على مجرد البقاء في الأرض وإن كان فيه الهوان .

وصدق رسول الله ﷺ : «توشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها» . فقال قائل : أمن قلة نحن يومئذ ؟ قال : «بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم كفتاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم . وليقذفن في قلوبكم الوهن» قال قائل : يا رسول الله ما الوهن ؟ قال : «حب الدنيا وكراهة الموت» .

• • •

وبعد فهذا الكتاب أقسام ثلاثة في أبواب تستقرئ التاريخ ، وتستشهد الوقائع ، وتدلل على الداء ، وتقدم الطب الذي طبه له الإمام .

الأول : يعرض - في صورة عجي - ألفاً ومائة عام من عمر أهل الإسلام ، وكيف أسلمتهم

الفرقة الباكرا والحكومات الجائرة وانطواء العلماء من قرن بئس إلى قرن أبأس ! وكيف نشأت البدع الصغار لتنتشر كالشرار ، فتسرى من بعد كالنار في هشيم المحتظر ، فتهز أركان الجماعة فلا يبقى لها من التوحيد - وهو أصل الدين - إلا مجرد النطق بالشهادة ومن أمور العبادة إلا أشكالها . ويتعطل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وهو الدواء القطرى الذى أمرت به السماء ، لتستعمل الفطرة في علاج الذات ، فتستجيب له بالطبيعة .

والثانى : يعرض ميلاد رجل قدرته السماء ، ليصلح ما أفسدته القرون السابقة ولتستفتح به الأمة أسباب الصمود في عصورها الحديثة مع ظهور الحضارة الغربية وسيطرتها ؛ لتعُد المسلمين للاقتدار على التطور ، بالعودة إلى أصل الدين وهو التوحيد ، وإلى خصيصة الجماعة الإسلامية ، وهى الائتثار بالمعروف والتناهى عن المنكر . وكيف نجح الشيخ ، واتخذ المهج السلنى عماداً لفكره وقواعد الحرية القانونية التى يمتاز بها فقه أحمد بن حنبل وأحمد بن تيمية سناداً لفقهه . مع سنوك مسلك الصحابة والتابعين وأئمة الفقه :

١ - بتعليم المسلمين بالمجلس النبى فى (العيينة) و(الدرعية) . وبالمؤلفات الواضحة المقنعة لإدحاض البدع التى أركست المسلمين فى الخضيض من قبل عصره وفى إبان عصره . ومازالت مقاومتها وسيلة لإقالة المسلمين من عثارهم فى العصور التى تلتها .

٢ - ويحمل السيف على الذين يلحدون فى الدين ويشركون بالله من عبدة الأصنام من الحجر أو الشجر أو التامس .

والثالث : يظهر الدور الذى قامت به أسلحة محمد بن سعود وبنيه فى خدمة الدعوة ، وبسالة الأبطال فى الاستشهاد من أجل العقيدة ، وانتصار المذهب السلنى والدعوة الوهابية ، وانتقال الدعوة بالحروب المظفرة أو المعارك الخاسرة إلى خارج جزيرة العرب ، وخارج القرن الذى ظهرت فيه ، لئرى فى كل بلدان الإيلام . وكل داعية للإصلاح فى القرنين اللذين أعقبا موت ابن عبد الوهاب تلميذاً له فى الفكر ، يدين بتعاليمه جملة وتفصيلا .